المدارس الصوفية واثرها في الحياة الاجتماعية في المغرب العربي الاسلامي

م.م عبد القدوس محمود شهاب

ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

Almudarsss@gmail.com

الملخص:

لقد ظهر التصوف في بلاد المشرق الإسلامي منذ بداية القرن الثاني الهجري ومنه انتقل الى بلاد المغرب العربي الإسلامي فظهرت الطرق والمدارس الصوفية في عدد من المدن الكبرى والقرى الارياف وكان لها أهمية كبرى في نشر الإسلام وتعاليمه السمحة وكان لها دور كبير في مواجهة الظلم والاهتمام بكافة نواحي الحياة وقد وضحت في هذا البحث المعنى العام للتصوف ونشأة التصوف في المغرب فضلا عن اسباب وعوامل انتقال التصوف إلى المغرب كذلك فقد ذكرت أبرز أعلام الصوفية في المغرب فضلا عن أبرز المدارس والربط والزوايا كذلك قد بينت الأثر الاجتماعي للمدارس الصوفية في المغرب العربي الإسلامي ودور المتصوفة في التكافل الاجتماعي من خلال توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء والمساكين ودورهم في الإيواء وإطعام الطعام ودورهم في ترسيخ القيم الاجتماعية والسلوكية من حسن الخلق والامانه والتواضع والتربية الروحية وغيرها فقد كانت هذه المؤسسات الصوفية أبرز رافد من روافد الحياة الاجتماعية التي مثلت الملتقى لكثير من طبقات المجتمع المختلفة.

الكلمات المفتاحية: (الصوفية، المدارس، الحياة، المغرب).

Sufi schools and their impact on social life in the Islamic Arab Maghreb

Abdul Quddus Mahmoud Shihab

Department of Religious Education and Islamic Studies

Abstract:

Sufism appeared in the countries of the Islamic East since the beginning of the second century AH, and from there it moved to the countries of the Arab Islamic Maghreb, where as the Sufi schools and orders appeared in a number of major cities and villages as well .countrysideAll parts of the Islamic countries, including the Arab Islamic Maghreb, where these paths and schools were of great importance in spreading Islam and its tolerant teachings, as well as the role of these schools in confronting injustice and the enemies of

Islam and taking care of all aspects of life. () Sufi schools and their impact on social life in the Islamic Arab Maghreb)) I would like to show, albeit with a little something, the role played by these Sufi schools and methods in social life in the Islamic Arab Maghreb. It was necessary to divide this research into three topics and a conclusion. The Arab Islamic (Meaning and Emergence) contained four demands. The first was under the title of the general meaning of Sufism. The second was the origin of Sufism in Morocco. The third was the reasons and factors for the transfer of Sufism to Morocco. The fourth was the most prominent Sufi flag in Morocco. The second topic was under the title The most prominent Sufi institutions in Morocco. It contained two demands. The first is the most prominent Sufi schools, and the second requirement is the most prominent linkage and angles. The third topic was under the title of the social impact of Sufi schools in the Islamic Maghreb. People from the oppression of states and rulers Fourth, their role in spreading behavioral and social values As for the conclusion, it contained a set of special conclusions and recommendations close to the title of the research.
Keywords: (Sufi, schools, life, Maghreb).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين فهو نعم المولى ونعم النصير الذي وفقنا الى سواء السبيل واصلي واسلم على المبعوث رحمه للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القدوه المثلى والاسوه الحسنه وعلى اله وصحبه اجمعين الذين زكوا انفسهم فافلحوا ونصحوا الامه فنفعوا اللهم اكرمنا بكرامتهم ووفقنا لهديهم والحقنا بهم واجمعنا معهم تحت لواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برحمتك يا ارحم الراحمين وبعد ظهر التصوف في بلاد المشرق الاسلامي منذ بدايه القرن الثاني الهجري ومنه انتقل الى بلاد المغرب العربي الاسلامي حيث ظهرت الطرق والمدارس الصوفية في عدد من المدن الكبرى والقرى وكذلك الارياف وقد استقطبت معظم الشرائح الاجتماعية وقد اصبحت هذه الطرق تشغل بال الكثير من الناس والباحثين في مجال التصوف في كافه انحاء البلاد الاسلامية ومنها المغرب العربي الاسلامي حيث كانت لهذه الطرق والمدارس اهميه كبيره في نشر الاسلام وتعاليمه السمحه فضلا عن دور هذه المدارس في مواجهه الظلم واعداء الاسلام والاهتمام بكافه نواحي الحياه وكان ما سبق سببا مباشرا دفعني لخوض هذه الدراسه وقد حاولت في هذا البحث المتواضع الموسوم((المدارس الصوفية واثرها في الحياه الاجتماعية بالمغرب العربي الاسلامي)) ان ابين ولو بالشيء القليل الدور الذي لعبته هذه المدارس والطرق الصوفية في الحياه الاجتماعية بالمغرب العربي الاسلامي وقد اقتضت الضرورة الى تقسيم هذا البحث الى ثلاث مباحث وخاتمه وكان المبحث الاول تحت عنوان التصوف في المغرب العربي الاسلامي (المعنى والنشاه) حوى اربعه مطالب وكان المطلب الاول تحت عنوان المعنى العام للتصوف اما المطلب

الثاني فهو نشاه التصوف في المغرب وكان المطلب الثالث هو اسباب وعوامل انتقال التصوف الى المغرب اما المطلب الرابع فكان ابرز اعلام الصوفية في المغرب اما المبحث الثاني فكان تحت عنوان ابرز المؤسسات الصوفية في المغرب وقد حوى مطلبين الاول هو ابرز المدارس الصوفية والمطلب الثاني هو ابرز الربط والزوايا اما المبحث الثالث فكان تحت عنوان الاثر الاجتماعي للمدارس الصوفية في المغرب العربي الاسلامي وقد حوى اولا دور المتصوفة في التكافل الاجتماعي ثانيا دورهم في الايواء والاطعام ثالثا دورهم في انقاذ الناس من بطش الولات والحكام رابعا دورهم في نشر القيم السلوكية والاجتماعية اما الخاتمة فقد حوت على مجموعه من الاستنتاجات والتوصيات الخاصة والقريبة من عنوان البحث.

المبحث الاول

التصوف في المغرب العربي الاسلامي

(المعنى العام والنشأة)

المطلب الاول: المعنى العام للتصوف

قبل الحديث عن التصوف لابد لنا ان نستعرض ما قيل في بعض المصادر عن معناه فقد ذكر الكلاباذي عده معاني للصوفية حيث قالت طائفه انما سميت الصوفية هو من صفا قلبه لله وقال بعضهم: الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته وقال اخرون انما سموا بالصوفية لانهم في الصف الاول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم اليه واقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه، وقال قوم انما سموا صوفيا لقرب اوصافهم من اوصاف اهل الصفة الذين كانوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اخرون انما سموا بالصوفية للبسهم الصوف واما من نسبهم الى الصوف والصفة فانه عبر عن ظاهر احوالهم وذلك لانهم تركوا الدنيا وخرجوا عن الاوطان وساحوا في البلاد ولم ياخذوا من هذه الدنيا الا ما يستر العوره ويسد الجوعه .(الكلاباذي، ٢٠١٠، ص١٥)

ويذكر القشيري انه ليس من يشهد لهذا الاسم من حيث العربيه قياس ولا اشتقاق والا ظهر فيه انه كاللقب واما قول من قال انه من الصوف ولهذا يقال تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى الله.

وقول من قال انه مشتق من الصفا فكانهم في الصف الاول بقولهم فالمعنى صحيح ولكن اللغه لا تقتضي هذه النسبه الى الصف فضلا عن ذلك فان القشيري يذكر انه قد سمع من الناس في التصوف وما معناه وفي الصوفي ومن هو ؟وكل قد عبر بما وقع له وسنذكر هنا بعض مقالاتهم حيث انه سئل سمنون عن التصوف فقال: الا تملك شيئا ولا

يملكك شيء .وقال معروف الكرخي: التصوف الاخذ بالحقائق والياس مما في ايدي الخلائق وقال الجنيد: التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع. وقال الكناني: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء .(القشيري، ٢٠٠١، ص٢٣٨)

وقد ذكر الشيخ احمد رزوق ان التصوف هو علم قصد لاصلاح القلوب وافرادها لله عما سواه والفقه لاصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالاحكام والاصول لتحقيق المعتقدات بالبرهان وتحليه الايمان بالايقان .(رزوق، ١٩٨٨، ص٢٦)

ويعرف ابن عجيبه التصوف بانه علم يعرف به كيفيه السلوك الى حضره ملك الملوك وتصفيه البواطن من الرذائل وتحليتها بانواع الفضائل او غيبه الخلق في شهود الحق واوله علم ووسطه عمل واخره موهبه .(ابن عجيبه، ص٢٥)

وقد عرف البوطي التصوف في كتابه السلفية بانه اسم حادث لمسمى قديم اذ ان مسماه لا يعدو كونه سعيا الى تزكيه النفس من الاوضار العالقه بها عاده كالحسد والتكبر وحب الدنيا وحب الجاه وذلك ابتغاء توجيهها الى حب الله عز وجل والتوكل عليه والاخلاص له .(البوطي، ١٩٩٨، ص١٨٩)

وقد كان للصوفيه بعض المصطلحات التي يستخدموها في حياتهم اليوميه والتي لها معاني تختلف عن معناها العادي والظاهر ولعدم معرفه القارئ بهذه المصطلحات فانه لا يصل الى الفهم الصحيح والمعنى الحقيقي لهذه المصطلحات ومن هذه المصطلحات هي .

١- القطبيه الكبرى: هي مرتبه قطب الاقطاب وهو باطن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يكون الا لورثته لاختصاصه عليه السلام بالاكمليه . (الكاشاني، ١٤١٣، ص١٦٢)

٢- التأنيس: هو التجلي في المظاهر الحسيه تانيساً للمريد المبتدا بالتزكيه والتصفية ويسمى التجلي الفعلي لظهوره في صور الاسباب .(الكاشاني، ص١٧٣)

٣- الغوث: هو القطب حيث يلتجئ اليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثا . (الكاشاني، ص١٨٥)

٤- الجذبه: هو تقريب العبد بمقتضى العنايه الالهيه المهيئه له كل ما يحتاج اليه في طي المنازل الى الحق بلا كلفه وسعي منه . (الكاشاني، ص٦٥)

٥- الطريقه: هي السيره المختصه بالسالكين الى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات . (الكاشاني، ص٨٥)

المطلب الثاني: نشاه التصوف واسباب وعوامل انتقاله الى المغرب .

لا يخفى علينا ان المغرب العربي الاسلامي قد غلب عليه المذهب المالكي رغم تعدد المذاهب والفرق في البلاد المغربيه وقد تبلور المذهب الصوفي بصيغه مدارس كبيره كان لكل مدرسه منها مرجعيتها الفكريه وممارستها التعبديه التي كان لها الاثر الواضح على المجتمع المغربي دينيا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا، ونلاحظ ان جذور الحركه الصوفية في المغرب تعود الى القرن الثالث الهجري فالحركه الصوفية هي نتيجه التحولات الاجتماعية والسياسيه والثقافيه التي كانت تعظم امور الدنيا واشتغلت القلوب بها وهونت من امور الاخره . (الريسوني، ص١٠٣)

ويرى المطلع على الدراسات التي تعنى بالتصوف المغربي تباين بين الباحثين حول كيفيه وصول وانتشار التصوف الى المغرب وان المتفق عليه هو انها لا يمكن حصرها في عام واحد فقط وكما يرى بوتشيش ان سبب ظهور التصوف وانتشاره في المغرب هو ما عاناه المجتمع الاسلامي للازمه التي لحقت به في هذه الوقت حيث مست هذه الازمه الناحيه السياسيه والاجتماعية والدينيه والفقهيه والاخلاقيه والثقافيه . (بوتشيش، ١٩٩٣، ص١٢٩)

فضلا عن ذلك نجد تفسيرا اخر لظهور وانتشار التصوف الغزالي في المشرق والمغرب اذ ان للواقع الاقتصادي الذي مر به المغرب دور كبير في لجوء الناس اليه فقد كان تصوف الغزالي عطاء صادق لهذا التوجه الصوفي بعد السيطره السلجوقيه . (بوتشيش، ص١٣٩)

ومما يمكن ان نتوصل اليه ان التصوف قد انتقل الى المغرب تزامنا مع انتقال الاسلام لهذا البلد وذلك نتيجه للتواصل بين المغرب والمشرق وان التاخير في الانتشار لان التصوف كان يعيش مرحله انتقاليه خلال الفتره بين القرنين الثالث والخامس الهجريين اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار اختصاص اهل الزهد والعباده به قبل الوصول الى عامه الناس بعد شرح وتفصيل معانيه .

اما اهم اسباب وعوامل انتقال التصوف الى المغرب هي

١- التواصل مع المشرق

لقد عرفت العلاقه بين المغرب والمشرق الاسلاميين تفاعل كبير في مختلف الميادين واهمها الميدان الصوفي وقد ساهمت الرحلات من المغاربه الى المشرق لدواعي متنوعه ومختلفة كالرحله لطلب العلم والدراسه على ايدي المشايخ الكبار فضلا عن الرحله لايداء مناسك الحج كذلك الرحلات التجاريه كلها ساهمت في التواصل الصوفي بين

المشرق والمغرب والاتصال بكبار المتصوفه وذلك عن طريق التتلمذ على ايديهم والتعرف على مذاهبهم واتجاهاتهم في ذلك المجال فضلا عن الاستفاده من المؤلفات والكتب الصوفية كقوت القلوب للمالكي واحياء علوم الدين للغزالي والرساله القشيريه للقشيري . (تركي، ٢٠٠٨، ص٣٥٢)

فضلا عن ذلك فان الترابط الصوفي بين المشرق والمغرب بسند او سلسله روحيه متمثله بسلسله من الشيوخ تبدا من المرشد الى شيخه المباشر حتى ترتقي الى بعض الكبار مثل الجنيد ثم التابعين حتى صحابه النبي صلى الله عليه وسلم . (عبيد، ٢٠٠٣، ص٤٣)

٢- مساهمه الدوله الموحديه

لقد ساهم الموحدون في نشأة وانتشار الحركة الصوفية في المغرب العربي الاسلامي وذلك بان المهدي بن تومرت (٥٢٧ هـ / ١١٢٥ م) كان قد تتلمذ على يد الشيخ ابي حامد الغزالي وحمل ارائه وافكاره ونشرها في المغرب فضلا عما قام به حكام الدوله الموحديه من ازاله العداوه نحو كتاب احياء علوم الدين للغزالي بعد زوال المرابطين حيث وجد هذا الكتاب قبولا كبيرا بين الناس في المغرب كما ساهمت الدوله الموحديه في فتح المجال امام التطور العقلي والفكري والعقيدي في ادراك الذات الالهيه وصفات الله تعالى والتي وردت في مؤلفات بن تومرت التي اعتمدت على العقل كوسيله للوصول الى توحيد الله تعالى والعباده السليمه والصحيحه كما حاولوا ازاله القيود التي وضعها فقهاء الدوله المرابطيه فيما كان له الاثر الكبير في انتشار التصوف في المغرب العربي واصبحت الكتب الصوفية كالرساله القشيريه وكتاب احياء علوم الدين تدرس في المؤسسات التعليميه ومجالس الفقه والمجالس الفكريه . (فيلالي، ٢٠٠٢، ص٣٨٤)

٣- تأثر المغرب العربي بالأندلس

لقد شكلت الهجره الاندلسيه الى المغرب العربي وخاصه هجره المتصوفه عاملا رئيسيا في انتشار التصوف وقد حملوا معهم مصنفات وافكار صوفيه وفي مقدمه هؤلاء هو ابو مدين شعيب (ت ٥٩٤ هـ) الذي نزل في مدينه بجايه سنه(٥٥٩ هـ) بعد رحلته من المشرق وقد حمل معه كتاب الغزالي احياء علوم الدين وكذلك الرساله القشيريه لابن هوزان القشيري وتدريسه لكتب الصوفية بها فضلا عن ذلك اتصاله بالشيخ عبد القادر الجيلاني الذي كان يقيم في بغداد واخذه عنه طريقته الصوفية ونشرها في كافه انحاء المغرب العربي الاسلامي كذلك فقد ساهم الشيخ بن عريف ابو العباس احمد عطا الله الصنهاجي (ت ٦١٠ هـ) بنشر مبادئ وافكار التصوف في كافه انحاء البلاد المغربيه . (الحفناوي، ١٩٦٠، ص٢٩٦)

٤ - تأثير الربط والزوايا

لقد انتشرت الرباطات في المغرب العربي الاسلامي وكانت تهدف بالاساس الدفاع عن السواحل المستهدفه من الغارات الاجنبيه لكن هذا لم يمنع المرابطين في هذه المراكز من الانشغال بالعباده والذكر كذلك هو الحال في الزوايا حيث كانت هذه البنايات تؤدى فيها الصلوات الخمسه فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على المريدين والطلاب فيها حيث كانت من اهم المؤسسات التي ساهمت كثيرا في نشر العلم لدى الشرائح الدنيا في المغرب الاوسط . (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص١٧١)

وبهذه المؤسسات يلتف طلاب العلم والمريدون حول الشيخ لدراسه شتى انواع الفنون والمعرفه وقد كان ينشاها اهل الخير او كبار رجال الدوله من اموالهم الخاصه ويوقفون عليها الاوقاف لتغطيه نفقاتها وتسيير امورها وتجهيزها بما هو ضروري وتوفير اجره للشيخ الذي يدرس فيها وكذلك ايواء واطعام الطلبه والمسافرين وابناء السبيل . (بالعربي، ٢٠٠٥، ص٢٢٦)

وبهذا فقد استعمل الصوفيون الزوايا وسيله من الوسائل المهمه لنشر المذهب الصوفي في المغرب العربي الاسلامي.

المطلب الرابع: ابرز اعلام الصوفية في المغرب

اولا: ابرز المتصوفون

١- ابو مدين شعيب بن الحسين الانصاري الاندلسي (٥٠٩ - ٥٩٤هـ)

هو شيخ المشايخ اصله من قطيانه وهي من عمل اشبيليه كان زاهدا في الدنيا عارفا بالله تعالى خاض بحارا من الاحوال ونال من المعارف الربانيه الامال قدم من الاندلس بعد ان ضيق عليه اخوته في الرعي لمواشيهم وقد كان لا يزال اميا ونزل بطنجه ثم ذهب الى سبته وعمل اجيرا للصيادين وقد كانوا لا يعطونه حقه في العمل ثم انتقل الى مراكش وفيها طلب العمل فنصحه بعض الناس بالانتقال الى فاس وفيها اخذ العلم من شيخه ابي الحسن علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم وقد لازمه لفتره من الزمن وكذلك اخذ من الشيخ ابن يعزى (ت ٥٧٢هـ). (ابن قنفذ، ١٩٦٥، ص١١، ص٢٠)

واثناء رحلته الى الحج قابل الشيخ عبد القادر الجيلاني وقد سافر ابو مدين الى بجايه ومكث فيها لفتره طويله درس فيها على يد ابو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي القلعي (ت ٥٨١) . (ابن الزيات، ١٩٩٧، ص٣١٩- ٣٢٠)

٢- ابن مشيش (ت ٦٢٢ هـ)

هو عبد السلام بن مشيش بن ابي بكر منصور بن علي الادريسي الحسني ابو محمد: ناسك مغربي اشتهر برساله له تدعى الصلاه المشيشيه شرحها كثيرون ولد في جبل العلم بثغر تطوان وقتل فيه شهيدا قتله جماعه بعثهم رجل يدعى ابن ابي الطواجين الكتامي (ساحر متنبأ)ودفن بقنه الجبل المذكور (الزركلي، ٢٠٠٢، ج٤، ص٩)

٣- محمد بن سليمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ)

هو ابو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني الفقيه الامام شيخ الاسلام علم الاعلام العالم العامل العارف بالله صاحب الكرامات الكثيره والمناقب الشهيره اخذ عن علم الظاهر والباطن وانتفع بهم وعنه اخذ خلائق لا يحصون كثره وانتفعوا به اجتمع بين يديه من المريدين ما يزيد على الاثني عشر الفا منهم الشيخ احمد زروق واحمد بن عمر الحارثي المكناسي والشيخ عبد العزيز التباع . (ابن مخلوف، ٢٠٠٢، ج١، ص٣٨٠) من اهل سوس المراكشيه تفقه بفاس وحفظ المدونه في فقه مالك وغيرها وحج وقام بالسياحه طويله ثم استقر بفاس من اثاره، دلائل الخيرات، وشوارق الانوار في ذكر الصلاه على النبي المختار صلى الله عليه وسلم (كحالة، ج١٠، ص٥٢)

٤- ابو عبد الله الهبطي

هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي جمعه الهبطي السماتي ولد حدود منتصف القرن التاسع الهجري في مدشر اهباطة من قبيله سماته احدى قبائل الجبل بشمال المغرب ويرى البعض ان الهبطي نسبه الى جبل الهبط المعروفه تعلم على عاده ابناء الباديه في الكتاب فحفظ القران الكريم وجوده وكانت مدينه القصر الكبير وقتئذ من اهم المراكز الثقافيه بالمغرب ثم رحل الى فاس وانهى بها دراسته وتلقى الروايات والقراءات والعلوم الشرعيه والعربيه وغيرها من اثاره الوقف الموجود بين ايدي الناس، وهو العنوان البارز للمصحف المغربي والطابع الشخصي للمدرسه القرآنية بالمغرب توفي في مدينه فاس عام ٩٣٠ هجريه ودفن في روضه الزهيري بطالعه فاس . (الساعاتي، ٢٠٠٠، ج٢، ص٢٥١)

٥- ابو عبد الله الزناتي:

هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عطيه الزناتي الفاسي الشيخ الشهير الصوفي العلامه الدراكه المتفنن الفقيه العمده المتقن قرا على ابي عبد الله الفلالي واجازه وحضر دروس الكثير من المشايخ في زمانه ولقي اعلامه من الفضلاء والصلحاء وتبرك بهم وعمدته في الطريق ابو الحسن علي بن محمد الحارثي تصدى للتدريس فقها وحديثا وتفسيرا وغير ذلك وانتفع به الكثير وكان يستعمل السماع توفي عن سن عاليه سنه ١٠٥٢ هجريه . (ابن مخلوف، ٢٠٠٢، ج١، ص٤٤٥).

٦- عبد الله الهاروشي:

هو ابو محمد عبد الله بن محمد الخياط الشهير بالهاروشي الفاسي المولد والدار التونسي القرار كان من العلماء العاملين الاخيار الملازمين للاوراد والاذكار والصلاه على النبي المختار وكان من الفقهاء الساده مع صلاح وورع وزهاده اخذ من اعلام منهم الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي والشيخ قاسم الخصامي الذي اجتمع به في مصر حيث لازمه مده اقامته بها من اثاره كنوز الاسرار في الصلاه على النبي المختار، والدر الثمين في الصلاه على سيد المرسلين، توفي في تونس ودفن بالجلاز وقبره متبرك به منقوش على لوح من رخام فوق قبره انه توفي سنه ١١٧٥ هجريه . (ابن مخلوف، ٢٠٠٢، ج١، ص٥٠٩)

٧- محمد بن علي السنوسي:

هو محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي ابو عبد الله مؤسس الطريقه السنوسية ولد في مستغانم ونشا في بيت علم ودين وفضل فدرس علوم الشريعه واللغه والمذاهب الاسلامية والطرائق الصوفية والفلسفه والمنطق وعلوم الفلك وغير ذلك من فنون المعرفه قضى حياته على اجناح سفر فتنقل في البلاد العربيه ففي سنه ١٢٥٧ هجريه رحل الى برقه واقام في الجبل الاخضر وبنى الزاويه البيضاء فانتشر خبره وعمه الدعوه السنوسيه ليبيا، وفي عام ١٢٧٠ هجريه انتقل الى زاويه العزبات ومنها الى زاويه الجغبوب سنه ١٢٧٣ هجريه فاقام الى ان توفي فيها بعد ثلاث سنوات له المسائل العشر المسمى بغيه المقاصد وخلاصه المراصد، والدرر السنيه في اخبار السلاله السنوسيه، والمسلسلات العشر والسلسبيل المعين في طرائق الاربعين وايقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقران والدولر الفرديه في ذكر اوائل الكتب الانزهيه وغيرها . (نويهض، ١٤٠٠ هـ، ص١٧٩)

٨- احمد التجاني: ١١٥٠هـ / ١٢٣٠هـ

هو ابو العباس احمد بن محمد المكنى بابن عمرو بن المختار بن احمد بن محمد بن سالم بن ابي العبد بن سالم بن احمد الملقب بالعلواني يرجع نسبه الى الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه عرف والده بالعلم والورع والعباده وكان مدرسا للحديث والتفسير ولد الشيخ في عين ماضي سنه ١١٥٠ هجريه ونشا في تلك البيئه الصحراويه في وسط اسرته الشريفه المشبعه بالعلم والتصوف من تلاوه للقران واعتناء بالصلوات والاحتفال بالاعياد الدينيه والليالي الفاضله حفظ القران في سبعه اعوام قبل ان يبلغ الحلم وبقي طوال حياته معنيا بالقران اناء الليل واطراف النهار ويحث تلاميذه على ذلك كان الشيخ ذاكرا لله في كل احيانه لا تفارقه سبته ويقول كل شيء حده الله الا ذكره سبحانه وتعالى وكانت له

خلوه للذكر من صلاه الصبح حتى وقت الضحى الاعلى ومن صلاه المغرب الى العشاء وله اوراد من العصر الى المغرب زياده على اذكاره خلال تهجده بالليل. (مفتاح، ص٣٣-٥٢).

ثانيا: ابرز المتصوفات:

١- عائشه المنوبيه:

هي عائشه بنت الشيخ ابي موسى عمران بن الحاج سليمان المنوبي وامها فاطمه بنت عبد السميع ومولدها بقريه منوبه غربي مدينه تونس نشات في حجر ابيها وقد اعتنى بتربيتها فعلمها القران الكريم حتى احسنت حفظه ثم لاحت عليها علائم الزهد والصلاح انصرفت للعباده وغزل الصوف وهو موردها للحياه فحكي عنها انها ختمت القران الف وخمسمائة وعشرين مرة، وقد كانت تبر بالفقراء والمساكين وتكرم المحتاجين فما تحصل عليه من عمل يدها تنفقه في سبيل الله تعالى حيث يروى عنها انها اذا بات بجيبها درهم ولم تتصدق به تقول ((الليله عبادتي ناقصه)) وهذا ما يدل على خيرها وحنانها وكانت تقول((لا خير في ذكر اللسان ما لم يكن القلب حاضرا)) وذلك عندما كانت تنقطع عن الذكر في بعض الايام وتسال عن ذلك.

وقد اخذت السيده عائشه علوم اليقين عن الصالح الجليل الامام ابي الحسن الشاذلي، توفيت رحمه الله في ضحوه يوم الجمعه الحادي والعشرين من رجب سنه ٦٦٥ هجريه وقد حضر جنازتها غالب علماء تونس في ذلك العصر واخر كلام سمع منها عند احتضارها، ((ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون))وقد توفيت عن سن عاليه في السادسه والسبعين من عمرها. (عبد الوهاب، ص٧٨)

٢- فاطمه تعلات:

واسمها الحقيقي فاطمه بنت محمد من بني غلا الهلاليه وهي رابعه زمانها من الصالحات العابدات الصابرات الخاشعات القانتات انتشر صيتها في بلاد المغرب واثنى عليها الناس وذكرت بالصلاح والولايه عند الخاصه والعامه في الناس كافه، ولهذه العابده كرامات كثيره شهد بها الكثير من العلماء العاملين واهل الدين والخير وذلك ان الشيخ العابد الناسك الصالح الملقب بالمعطي البجعدي كتب اليها يسلم عليها ويطلب منها الدعاء . (الحضيكي، ١٤٢٧، ج٢٩٢، ص٢٩٣)

وقد ذكر الرواه ان لهذه العابده الصالحه كرامات كثيره ومنها ما لمسوه انفسهم بحضور زوجها (العبادي، ٢٠٠٤، ص٥٨-٥٩) توفيت رحمه الله سنه ١٢٠٧ هجريه وكانت معمره ومسنه حيث تجاوز عمرها اكثر من ١١٠ سنه، ويقام ازاء ضريحها موسم ديني تاسس سنه ١٢٥٥ هجريه وكان هذا الموسم زاخر بتلاوه القران الكريم وقد ملئ

بالطلبه الذين ياتون من كل مكان ويعكفون على قراءه القران ليل ونهار وما زال هذا قائما الى يومنا هذا .(العبادي، ص٦٠)

٣- رقيه الادوزي:

هي رقيه بنت محمد بن العربي بن ابراهيم بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن يعقوب ولدت سنه ١٣٠١ هجريه وهي زوجه الشيخ علي الدرقاوي ووالده العلامه المختار السوسي، تربت في بيت علم ودين فقد حرص والدها العلامه على تعليمها وتربيتها تربيه تليق باهل بيت الادوزي فاتقنت حفظ كتاب الله تعالى حيث يخبرنا ابنها المختار السوسي في كتابه المعسول بقوله ((اخبرني استاذها سيدي احمد بن عبد الله الاجلاني المجاطي قال: استدعاني الاستاذ سيدي محمد بن العربي سنه ١٣١٠ هجريه من المدرسه الادوزيه فامرني ان الازم داره وان اعتكف فيها على تعليم بناته واولاده فخرجت الي والدتك في دراعه سوداء وفي راس لوحتها ((يوم يفر المرء ....)) وقد كانت تتعلم قبل ان اتصل بها عند غيري ثم دابت عندي حتى ختمت سبع ختمات وجودت غايه التجويد، وقد كانت لها دور كبير في تربيه وتهذيب ابنائها فشهاده ابنها المختار خير دليل على ذلك حيث يقول ((اول ما اعلمه عن والدتي انها هي التي سمعت منها بادئ ذي بدء تمجيد العلم واهله واكبر تلك الوجهه وكان كل مناها ان تراني يوما ممن تطلعوا من تلك الثنيه وممن يداعبون الاقلام ويناغون الدفاتر))كانت وفاتها رحمها الله سنه ١٣٤٢هـ. (المختار، ١٩٦١، ج٢، ص٢٣٧)

٤ - امينه بنت يغروسن:

هي وليه صالحه من اهل تلمسان ذكرها التادلي في كتابه التشوف حيث نقل خبرا يخص الولي التونسي عبد السلام وهو من اولياء تونس انتقل الى تلمسان ومات بها وذلك في عصر الدوله المرابطيه حيث كان هذا الولي سبب في توبه هذه المراه ودخولها الى التصوف حيث تروي هي عن نفسها انها كانت في جمع من الناس الذين توافدوا الى الشيخ عبد السلام كي يدعو لهم فاصابتها رعده من هيبته فقال لها ماذا تريدين فقالت ان تدعوا لي فدعا لها فتقول فانصرفت الى منزلي وتجردت من اثوابي واقبلت على طاعه الله وقد كانت تلبس خمار من صوف وجبه من صوف وتقيم الليل من اوله الى اخره في جامع تلمسان الى ان توفيت رحمه الله وقد قاربت على ١٠٠ سنه . (ابن الزيات، ١٩٩٧، ص١١٢)

٥ - مؤمنه التلمسانيه:

هي امراه صالحه متعبده من اهل تلمسان غير انها كانت تقيم في فاس حيث لقيها ابن قنفذ وعرفنا بها حيث قال عنها ((ورايت منهم بفاس المراه الصالحه مؤمنه التلمسانيه وتبركت بها وما زالت على ما تقرر عندي تخصني بالدعاء في ظهر الغيب.....)) (ابن قنفذ، ١٩٦٥، ص٨٠-٨١)

وكانت على زهد وتقشف وورع وعباده حيث كان قوتها في العام وكانت على زهد وتقشف وورع وعباده حيث كان قوي قوتها في العام من غزل يديها فكانت لا تقبل من احد شيئا، بل كانت تحرص على التزام دقائق الورع فحكى عنها ابن قنفذ في هذا انه سالها مره عما تكلف به فقالت: حسكه اخلل بها اسناني . فانصرفت ووجدت في طريقي حملا من الحسك بازاء كوشه ففرحت بتيسيره واخذت منه نحو الثلاث ورجعت اليها فقالت لي: من اين هذا فاعلمتها فقالت لي: وهلا استاذنت صاحبها ؟ ردها اليه، فرجعت الى صاحب الحسك وطلبته في ان يسمح فسمح وقال لي: لا حظ لهذا، فرجعت اليها واعلمتها فقالت لي: ما كان فيه هذا لا حاجه لي به سر في حفظ الله تعالى فانصرفت وعلمت ان قصدها ان تطلعني على اداب دقيقه وتنبهني على ما انتفع به .

لقد سلكت هذه الصالحه طريق المجاهده والانقطاع عن الناس اشهر مخصوصه وكانت تلبس ثيابا خشنه من الصوف وتحرص على الصلاه وحفظ القران الكريم رغم كبر سنها كما كانت تحرص على الورع والاعراض عن اهل الدنيا وان كانوا من الاشراف وقد كان يتبرك بها من له فيها اعتقاد وخاصه ابن قنفذ والقاضي ابو عبد الله المقري كان يزورها ويسعى في قضاء حوائجها. (ابن قنفذ، ١٩٦٥، ص٨١)

٦ - عائشه بنت يوسف السنوسي:

هي عائشه ابنه ابي يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي والد الولي محمد بن يوسف السنوسي ذكرها الملالي بانها كانت امراه صالحه توفيت قبل والدها وكان والدها يزور قبرها ويحادثها وكان يتصورها طائر يطير بين الاغصان تخبره بمغيبات منها قرب اهله وحثه على العباده والتوجه الى الله بالضراعه . (الملالي، ٢٠١١، ص٤٦)

المبحث الثاني

المؤسسات الصوفية في المغرب العربي الاسلامي

المطلب الاول: ابرز المدارس الصوفية

اتسمت المدارس الصوفية المغربية بالتشدد في شروط القبول والانضمام اليها وكانت لا تقبل اغلبها الا من كان له الحظ الاوفر من مبادئ الشريعة نظرية وتطبيقا وكان الشيوخ يقومون باختبار صدق الطلبة قبل القبول فيها ومن

دلالات الشده والحزم المعروفه عندهم هو ما ذكر في كتاب التشوف لابن الزيات من ان ابن شعيب الجذامي قد تحلل من مشيخته على مريده ابي عبد الله السبتي لانه انغمس مع جماعه في غدير من دون ازار . (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص٣٩٩)

ولابد من الاشاره الى ان المدارس الصوفية في المغرب قد ساهمت في نشر الاسلام وعقيدته السمحاء وذلك من خلال ما حملته من القيم الاسلامية العليا وما عززته تلك المدارس من الروح العقائديه والفكريه من خلال شيوخها وتلاميذها وطرقها وزواياها فهدف هذه المدارس ليس مجرد تكوين علماء في الدين وانما علماء تكون لهم قدره على التربيه والتعليم في ايام السلم والجهاد ومواجهه الاعداء ايام الحرب وعلى فض النزاعات وترك الحقد وقت نشوب الخلافات بين افراد المجتمع وعلى قياده الامه الى بر الامان اذا ما استندت لهم قيادتها . ومن ابرز هذه المدارس.

١ - المدرسه القادريه:

تعتبر المدرسه القادريه من اقدم المدارس الصوفية تاسيسا على الاطلاق في العالم الاسلامي وتنتسب هذه المدرسه الى الشيخ عبد القادر الجيلاني نسبه الى جيلان من فارس والتي ولد فيها سنه ٤٧٠ هجريه ومنها انتقل الى مدينه بغداد والتي كان فيها الكثير من العلماء والفقهاء والمحدثين كما كانت محط انظار طلاب العلم من كل انحاء العالم وقد تصدر الشيخ عبد القادر الجيلاني للتدريس والف العديد من الكتب التي تعتبر ثروه كبيره نذكر منها الفتح الرباني، والغنيمه لطالب الحق، والفيوضات الربانيه، وفتوح الغيب . (العقبي، ٢٠٠٢، ص١٤٣) وقد عمل اتباع هذه المدرسه على تكريس المبدا الاسلامي في الدعوه ونشر الاسلام وتفعيل القيم والاخلاق الفاضله بين الناس وتعليم الناس دينهم الحق بالاساليب والوسائل المشروعه المستوحاه من الكتاب والسنه فقد انشاوا الزوايا وفتحوا الكتاتيب في القرى وتمكنوا من تعليم الاطفال قراءه العربيه وكتابتها وتلقينهم الدين الاسلامي فضلا عن ذلك فقد قاموا بارسال بعض الاطفال المتميزين الى معاهد في القيروان وطرابلس وجامع القرويين والزيتونه وجامع الازهر على نفقه الزاويه القادريه بقصد اتمام دراستهم والعوده الى بلادهم للعمل في سلك نظام الفرق الصوفية التي كانت تقاوم الحملات التبشيريه المسيحيه في تلك البلاد وقد كانت لهذه المدرسه الدور الكبير في حمل رايه الجهاد والمقاومه دفاعا عن الاسلام واوطان المسلمين .

٢ - المدرسه الشاذليه:

تنتسب هذه المدرسه الى الشيخ ابو الحسن علي ابن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المولود بالمغرب الاقصى في بلده غماره القريبه من مدينه سبته سنه ٥٩٣ هجريه وفي مسقط راسه اكب على حفظ القران ودراسته للعلوم الدينيه

واللغويه وقد رحل ابو الحسن من المغرب الى تونس حيث تتلمذ على كبار علمائها فازداد بذلك علما وفقها وتصوفا ثم انتقل منها ليستقر ببلده شاذله التي نسب اليها وعرف بها فيما بعد وهي من مدن تونس المعروفه ويعود تاريخ تاسيس هذه المدرسه الى النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي وتعتبر هذه المدرسه مع سابقتها المدرسه القادريه من اقدم الطرق والمدارس الصوفية استقرارا بالمغرب حيث كان مركزها بوبريت في مراكش وهي من الطرق الاولى التي ادخلت التصوف الى المغرب واستطاعت هذه المدرسه بمرونه تعاليمها واعتدال نهجها ان تؤثر تاثيرا ملحوظا في اكثر الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن السابع عشر الميلادي وتفرعت عنها عده طرق منها الدرقاويه والطيبيه واليوسفيه والزيانيه والزروقيه والشيخيه، كما استطاعت ان تستقطب اليها الكثير من العلماء الذين اصبحوا ينتسبون اليها مثل الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وابراهيم التازي واحمد بن يوسف الملياني وغيرهم . (العقبي، ٢٠٠٢، ص١٥١)

وقد كانت لهذه المدرسه كغيرها من المدارس الصوفية الدور الكبير في الجهاد في سبيل الله وحرب المعتدين على الاسلام والمسلمين وتعاليم الشاذلي لاتباعه مليئه بالحث على الجهاد الذي اصبح صفه لازمه لشيوخ الطرق الصوفية فضلا عن ذلك فان لابي الحسن الشاذلي من الاثار والمؤلفات: حزب الشاذلي، ورساله الامين في اداب التصوف، والسر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل . (العقبي، ص١٥٤)

٣ – المدرسة المدينيه:

وتنسب هذه المدرسه الى الشيخ ابو مدين شعيب (ت ٥٩٤هـ) واصله من اشبيليه، خرج من الاندلس الى المغرب هربا من رعي اغنام اخوته طالبا للعلم. (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص٣١٩)

فكانت رحلته شاقه ومتعبه من طنجه الى مراكش الى فاس التي تعلم فيها واخذ من علمائها لاكثر من ستة عشر سنة نهل فيها من شيوخ الحديث والفقه والتصوف فانقلبت حياته من الجهل والحرمان الى العباده والعلم وقد ذكرت المصادر انه كان زاهدا عابدا عارفا بالله تعالى خاض من الاحوال بحارا ونال من المعارف اسرارا وكان مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبه كثير الالتفات الى الله سبحانه وتعالى، ومما يروى في بيان فضله وتأثيره بالناس حتى بعد وفاته ان ابا علي عمر بن العباس المعروف بالحباك (ت ٦١٣ هـ) كان من اغنياء تلمسان واثريائها شاهد موكب جنازه ابي مدين شعيب فادرك عزه الصوفية ومكانتهم فهجر حياه الترف وعاش حياه الزهد والتصوف من حينه (بونابي، ٢٠٠٤، ص١١٤) .

لقد اعتمدت هذه المدرسة على اصلاح القلوب على حساب الزهد في الملبس والماكل وعلى التذكير والترغيب بدلا من الترهيب والتخويف الامر الذي اكسبها شعبيه كبيره جعلت طلبه العلم يقدمون عليها بصوره كبيره فتذكر

المصادر ان تخرج على يد ابي مدين الف شيخ من الاولياء اولي الكرامات الذين اخذوا عنه التصوف وينقل لنا ابن قنفذ عن ذلك فيقول ((وكثرت تلامذته وظهرت بركاته عليهم)) . ويعلل اشتهاره بلقب شيخ مشايخ الاسلام وامام العباد والزهاد بانه خرج على يده الف تلميذ وظهرت لكل واحد منهم الكرامه والبركه (ابن قنفذ، ١٩٦٥، ص١٦)

٤ – المدرسه التجانيه:

تنسب هذه المدرسه الى الشيخ ابي العباس احمد بن محمد التجاني (١١٥٠ هـ – ١٢٣٠ هـ) ولد في قريه تسمى عين ماضي في الجزائر وتلقى اولى علومه فيها وبعدها انتقل الى مدينه الابيض وقام فيها خمسه سنوات ثم اخذ يتنقل بين الدول وفي الصحراء ويدعو الناس الى طريقته وقد اشتهر التجاني في فاس والمغرب واقبل عليه اعداد كبيره حتى توفي سنه ١٢٣٠ هجريه ومن شده تعلق اصحابه به تزاحموا على حمل نعشه وكسروه بعد ان دفنوه واخذوا منه قطعا صغيره للتبرك . (البيطار، ١٩٦١، ص٣٠٣) ولم يتزي اتباع هذه المدرسه بلون خاص وما اثر عنهم هو لبس الابيض وما ميز اتباعها هو الازار وكان لها عادات وتقاليد منها ان اتباعها يعرفون بالاحباب ويحرم على من دخل في هذه الطريقه ان يدخل في طريقه غيرها وعلى مريدها ان لا يزور وليا حيا او ميتا وان حصل هذا الشيء فصل من التجانيه ويجب على المريد ان يعترف بان الشيخ احمد التجاني هو خاتم الاولياء وسيد العارفين ومعد الاقطاب والاغواث .

وكان اتباع هذه المدرسه يهتمون بصوره كبيره جدا في اداء فريضه الحج ولا يردهم عنها اي شيء، فضلا عن ذلك فقد كان لاتباع هذه المدرسه طريقه خاصه في الذكر شانها شان باقي الطرق الصوفية الاخرى واذكارها واورادها متنوعه فمنها ما هو لازم ومنها ما يختص به الخواص دون العوام . (الزين، ١٩٨٥، ص٥٥٥-٥٥٦)

٥ – المدرسه السنوسيه:

وتنتسب هذه المدرسه الى مؤسسها محمد بن علي السنوسي الخطبي الحسيني الادريسي (١٢٠٢هـ- ١٢٧٢هـ) ولد في مستغانم في الجزائر واقبل على العلم من بدايه حياته وانتقل الى فاس حيث مسجد القرويين لطلب العلم فكانت اولى اهدافه اقامه مجتمع مسلم يفهم افراده الاسلام ويرتبطون بشريعه الله تعالى، رحل عن فاس الى قابس وطرابلس وبنغازي ثم الى القاهره حيث اقام فتره في الازهر وحاول ان ينشر عقيدته في اصلاح العالم الاسلامي ثم توجه الى الحجاز املا في التقاء المسلمين من شتى انحاء العالم واخذ يتنقل بين الدول حتى انشا الزاويه البيضاء في الجبل الاخضر فكانت هذه ام الزوايا السنوسيه ومن بعد ذلك نقل مركزه الى جغبوب التي كانت اكثر توسطا واسهل اتصالا بانحاء اخرى من برقه وطرابلس والسودان العربي فاصبحت اعظم مدرسه لمبشري الاسلام في اواسط افريقيا وقد كان

اتباع هذه المدرسه يقومون بشراء الارقاء صغارا من السودان ويربوهم في جغبوب وغدامس وغيرها ثم متى بلغوا اشدهم واكملوا تحصيل العلم اعتقوهم وسرحوهم الى اطراف السودان يهدون ابناء جلدتهم الباقين وهكذا يرحل كل سنه المئات من مبشري السنوسيه لبث الاسلام في افريقيا الداخليه من سواحل الصومال شرقا الى سواحل السنغامبيه غربا . (ستودارد، ١٩٧٣، ج٢، ص٣٩٩-٤٠٠)

وقد كان عمل هذه المدرسه هو اتباع السنه النبويه الشريفه والشريعه الاسلامية بدون شرط او قصور فقد كانوا يهتدون بهدي الصحابه والتابعين وكانوا يحثون مريديهم بالعمل مع العباده والرمايه والفروسيه ويبثون فيهم روح النشاط ويحملوهم على الطرد والجلاد ويعظمون في اعينهم الجهاد ويحثونهم على التمرينات الحربيه في يوم الجمعه من كل اسبوع اما يوم الخميس فقد خصص عندهم للعمل بالايدي فيتركون في ذلك اليوم الدروس كلها ويشتغلون بانواع المهن من بناء ونجاره وحداده ونساجه وغيرها فضلا عن اهتمامهم الكبير بالزراعه والغرس فقد ادخلوا في الكفره وجغبوب زراعات واغراسا لم يكن لاحد هناك عهد بها فهذه المدرسه او الفرقه هي فرقه عمليه لا تعتمد على مجرد التلاوه والذكر دون العمل والسير فهي تجمع بين العمل الشرعي بحذافيره وبين التجرد الصوفي الى اقصى درجاته وتنظم بين الظاهر والباطن تنظيما لم يوفق اليه غيرها . (ستودارد، ١٩٧٣، ج٢، ص١٦٣-١٦٤)

المطلب الثاني: أبرز الزوايا والربط

بدايتاً الزاوية هي البناية ذات الطابع الثقافي والديني والتي فيها تقام الصلوات الخمسة وتلقى فيها الدروس على المريدين والطلاب وتعتبر من اهم المؤسسات التعليمية والتثقيفية التي ساعدت بشكل واضح وكبير في نشر التعليم لدى الشرائح الدنيا في المجتمع المغربي . (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص١٧١)

وقد ذكرها ابن مرزوق بقوله: إن الزوايا هي التي يطلق عليها في المشرق الربط والخوانق اما الرباط في اصطلاح الفقهاء فهو احتباس النفس في الجهاد والحراسة وهو عند المتصوفة الموضع الذي يلتزم فيه للعبادة وذكر ايضا ان الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين . (ابن مرزوق، ١٩٨١، ص٤١١)

وبهذا المكان يلتف الطلبة حول الشيخ ينهلون منه انواع المعرفه وقد كان ينشاها اهل الخير او كبار رجال الدوله من مالهم الخاص ويوقفون عليها الاوقاف لتغطيه نفقاتها التي تصرف على تجهيزها وتوفير اجره للشيخ الذي كان يقضي معظم وقته فيها خدمه للعلم وكذلك على ايواء واطعام الطلاب وابناء السبيل والمسافرين والمحتاجين وكانت

توكل مهمه اداره الزاويه الى ناظر او جماعه من المساعدين ويحدد الموقوفون في عقودهم الاوجه التي تصرف فيها عوائد الاوقاف وطريقه ادارتها . (بالعربي، ٢٠٠٥، ص٢٢٦)

ومن ابرز الربط والزوايا هي:

١ - رباط المنستير:

وهو الرباط الذي انشاه هرثمه بن اعين ابان ولايته على افريقيا وقد كان الناس يقصدونه لوقت من السنه فيقيمون فيه ايام معلومه وذلك للمشاركه في الجهاد في سبيل الله وخاصه في شهر رمضان . (ابو العرب، ج١، ص١٠٧)

ويوجد في هذا الرباط العديد من المحارس او القصور منها القصر الكبير الذي بناه حرثمه بن اعين وهو عباره عن قصر كبير ذو بنيان عال وفي داخله ربض واسع كبير ويوجد في وسط هذا الربض حصن اخر كثير المساكن والمساجد والقصاب العاليه وفي القبله منه صحن فسيح فيه قباب عاليه متقنه ينزل حولها المرابطات من النساء وتعرف بقباب الجامع . (البكري، ص٣٦)

ويوجد في المنستير قصر دويد ويرجع تاريخ بناؤه الى القرن الثالث الهجري وعلى الاغلب انه سمي باسم احد العباد الذين رابطوا فيه والذي يسميه العامه سيدي ذويب.

٢ - رباط رادس:

تقع مدينه رادس على بعد عشرة كيلو مترات جنوب شرق مدينه تونس وبما ان المسلمين الفاتحين للمغرب اختاروا في اول امرهم الاستقرار بتونس بعيدا عن خليج قرطاج فقد قاموا منذ القرن الاول للهجره باحداث رباط في رادس التي تعد المنفذ البحري الوحيد للمرفا الجديد ولتشجيع المرابطين على الاستقرار في هذا المكان الذي يعد من اقدم الحصون في افريقيا وقد ذكر التجاني ان الروم قد اغاروا على رادس في ولايه عبد الملك بن مروان فقتلوا وسلبوا ولم يكن للناس اذ ذاك شيء يحصنهم فانتقل اليها امير افريقيا حسان بن النعمان الغساني فاقام مرابطا بها وكتب بذلك الى عبد الملك فبعث عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو اميره على مصر يامره بان يوجه الف قبطي والف قبطيه يستعين بهم فلما وصلوا الى حسان اثبت كثيرا منهم في رادس وفرق باقيهم في مراسي تونس . (التجاني، ١٩٨١، ص٥-٦)

٣ - رباط شاكر:

هو من اشهر الرباطات المغربيه واقدمها واكثرها ذكرا وينسب الى شاكر بن عبد الله الازدي احد مشاهير التابعين الذي دخل المغرب مع عقبه بن نافع الفهري .(السملالي، ١٩٨٣، ج٣، ص١٣٢)

وقد كان هذا الرباط مجمع لصلحاء المغرب وصوفيته وخاصه في شهر رمضان ليله السابع والعشرين لختم القران الكريم فكان يحضر فيه الفقهاء والعلماء والمريدين من كافه انحاء المغرب وقد اشار الابن الزيات انه حضر ودون اخبار عن الحياه العلميه والدينيه هناك كما اشار الى حلقات الذكر الجماعيه التي اقيمت فيه فضلا عن الوعظ والارشاد فيه لنشر الاسلام ويقول ابن الزيات عن ابي محمد بن يجلي بن موسى الدغوغي: ((كان واعظا برباط شاكر في وقت لا يصعد منبر شاكر الا الاحاد)). (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص٤٠٢)

وهذا يدل على مكانه هذا الرباط الرفيعه الامر الذي جعله يستقطب اشهر المتصوفه والعلماء فضلا عن ان المريدين والعامه كانوا يقصدونه للقاء الصالحين والتفقه في الدين فقد اخبر ابن الزيات ان ابي محمد عبد الله محمد بن موسى الازكاني: ((فقر الى الله تعالى وساح في طلب الصالحين برباط شاكر وغيره)) ويوجد الرباط اليوم بقريه سيدي شكير بجانب المسجد العتيق المعروف بالرباط وقيل ان سيدي شكير هذا هو ولد يعلي بن واطل احد رجال ركراكة السبعه . (السملالي، ج٥، ص١٣٢)

٤ – رباط تيط:

هو من اقدم الرباطات المغربيه ويرجع تاريخ تاسيسه الى ما قبل المرابطين ومكانه اليوم على بعد بضعه اميال جنوبي الجديده على شاطئ المحيط الاطلسي وقد لعب رباط تيط ادوار مهمه طيله تاريخ وجوده في مختلف المجالات منها الصوفية والتعليميه والاجتماعية والاقتصاديه والسياسيه والعسكريه . (المازوني، ١٩٩٧، ص٢٥)

وقد ارتبط هذا الرباط باحدى اكبر الاسر الصوفية في المغرب وهي اسره ال امغار التي قال عنها ابن قنفذ انها تتوارث الصلاح كما تتوارث الناس المال فقد اسسه جدهم اسماعيل امغار في بدايه القرن الخامس الهجري . (ابن قنفذ، ص٢٢)

٥ – رباط آسفي:

ذكر التادلي ابن الزيات هذا الرباط في ترجمته ابي محمد عبد الحق بن ابي طاهر المعيطي في قوله ((سمعت عيسى بن موسى يقول: كنت مع عبد الحق بن ابي الطاهر برباط اسفي في ليله ممطره ....)) . (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص٤٣٣)

وهذا يشير الى ان الرباط كان به علماء ومتصوف كبار تشد لهم الرحال ومنهم الشيخ ابي محمد صالح الماجري هذا الى كون الرباط كان يمارس نشاطه الصوفي والتعليمي وذلك لوجود التلاميذ مع الشيوخ وتاديه الاوراد الراتبه وهذا يبين نشاط هذا الرباط الذي اسسه الشيخ ابي محمد صالح الماجري (ت ٦٣١ هـ) بعدما رجع من المشرق وقد شيده على

شاكلة الخوانق المشرقيه التي تتخذ اشكالا معماريه متميزه حيث مكان الشيخ والخادم ومكان الصلاه والسقايه والجلوس والمطبخ.

٦ – رباط برج اللؤلؤه:

ان اصل هذا الرباط هو قصر بناه المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي (٤٨١-٤٩٨هـ) (١٠٨٩-١١٠٤ م) وقد وصفه ابن الحجاج النميري كان حيا سنه ٧٧٤ هجريه اثناء رحلته بصحبه السلطان المريني ابي عنان الى قسنطينه والزاب سنه ٧٥٨ هجريه في سواحل بجايه بانه ((المنار المهتدي بنوره ورباط الجهاد الذي كسر الاعداء بسوره ومقر المثاغرين الذين هجروا المهاد ولازموا السهاد وباتت اعينهم تكلأ في سبيل الله ينتظرون قدوم اجفان الكفار لاقتضاء حرب تؤذن)) (ابن الحاج، ص٩٥)

٧ – زاوية قمار:

بعد اول زاويه تجانيه في العالم مؤسسها السيد محمد الساسي القماري نشا بقمار بوادي سوف (وهو المنطقه الجنوبيه الشرقيه من الجزائر المحاذيه لمنطقه الجريد بالجنوب التونسي) حفظ القران وتعلم اللغه والفقه كان فقيرا زاهدا ورعا اخذ الطريقه عن الشيخ احمد التجاني وقد حثه الشيخ على الرجوع الى بلده قمار لينشر الطريقه فامتثل ورجع الى بلده وقد توسعت هذه الزاويه توسعا كبيرا ومنذ تاسيسها الى الان لم تنقطع فيها حلق الذكر وتلاوه القران كل يوم مرتين الاولى بعد صلاه الصبح والثانيه بعد صلاه العصر مع احياء الليالي الفاضله والمناسبات الدينيه. (مفتاح، ص١٨٥-١٨٦)

٨ – زاوية يعقوب بن عمران البو يوسفي (ت ٧١٧ هـ/ ١٣١٧م)

ويطلق عليها الزاويه الملاريه بفرجيوه والتي اصبحت مركز اشعاع فكري وصوفي جذبت اليها الكثير من المريدين والمتصوفه في جميع انحاء المغرب الاوسط وافريقيا والمغرب الاقصى. (ابن قنفذ، ص٤٠)

وقد اعتمدت الطريقه المدينيه حيث يخضع المريد الى تربيه قاسيه من خلال تكليفه بجمله من الاوراد والاذكار التي يمكن ان تجعل من المريد اذا اداها باخلاص ان يصل الى مرحله الكشف فضلا عن تدريس علوم الحديث والفقه ونظريات التصوف حتى لا ينحرف الى البدع . (ابن قنفذ، ص١٨)

٩- زاويه سيدي الهواري:

وهي الزاويه التي اسسها محمد بن عمر الهواري بعد ان استقر في وهران وكانت هذه الزاويه تلقى فيها المحاضرات الدينيه والعلميه ولم يقتصر التعليم فيها على التصوف فقط وانما شمل مجموعه من المعارف سبق للشيخ محمد بن عمر الهواري ان اخذها من شيوخه في كل من بجايه وفاس . (حساني، ٢٠٠٩، ص٢٣٥)

١٠ - زاويه جمال الدين التجيبي:

وهي الزاويه التي اسسها عيسى بن موسى الملقب بجمال الدين التجيبي وهو من العلماء العظام والمتصوفه الكبار عاش في القرن العاشر الهجري على شاطئ وادي التاغه من ارض غريس كان تقيا ووليا وعالما . (حساني، ص٢٤٣)

١١ - زاويه الرواش:

وهي الزاويه التي اسسها محمد بن يحيى بن موسى اخذ العلم من ابيه وعن ائمه تلمسان وقد تخرج من هذه الزاويه الكثير من العلماء الذين نسبوا الى غريس وكانوا وراء تاسيس اربطه الدفاع عن السكان من المعارك الاسبانيه وقد قيل عنه انه افقه علماء القرن العاشر الهجري وعرف عنه بانه الفقيه الورع العارف بالله الناسك المحقق المتصوف ذو الكرامات والاخلاق امام العلوم الظاهره . (حساني، ص٢٤٥)

١٢ - زاويه الملياني:

وهي الزاويه التي اسسها محمد بن يوسف الملياني وتعد من اكبر الزوايا في هذا العصر لنفوذها السياسي وخاصه بعد الاتفاق الذي تم بينها وبين الاخوين عروج وخير الدين حيث شارك اتباعه وطلابه في محاربه الاسبان وخاصه في معركه قلعه بني راشد التي استشهد فيها عدد من طلابه. (حساني، ص٢٤٣)

المبحث الثالث

الاثر الاجتماعي للمدارس الصوفية في المغرب العربي الاسلامي

يعتبر الدور الاجتماعي من اهم الادوار التي اثر بها الاولياء والصوفية في تاريخ المغرب العربي الاسلامي وذلك لان الدور الاجتماعي يعكس توجهات المجتمع وهمومه فبرزت في هذا الدور مكانه الصوفية في وسطهم المجتمعي مهما تباينت طبيعة هذا المجتمع فلا نكاد نجد ميدانا من ميادين الحياه الاجتماعية الا وقد تدخل فيه الولي او الصوفي ومارس فيه تأثيره وقبل الخوض في هذا الموضوع لابد لنا ان نتعرف على البعض من جوانب الحياه اليومية للمتصوفة .

ان الصفه البارزه للصوفيه هي مجاهده النفس والتعبد والزهد في الدنيا وكثره الذكر والصلاه حيث يذكر ان احد المتصوفه وهو ابو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي (ت ٥١٣ هـ - ١١٢٠ م) انه اذا دخل الى الصلاه لا يشعر باحد من الناس حتى ان ابنه اخذ السراج وادناه من عينيه اثناء صلاته فلم يحس به لحضوره مع الحق وغيبته عن الخلق. (ابن الزيات، ١٩٨٤، ص٩٥)

ويذكر عن ابي الفضل انه حين نزل في سجلماسه امر ان ينزل في دار قريبه من الحمام بعيده عن المسجد فانكروا عليه ذلك وسالوه فقال خطاي الى الحمام في حق بدني فاريد ان تكون قليله وخطاي الى المسجد فيها الاجر فاريد ان تكون كثيره .(ابن الزيات، ص٩٩) فضلا عن ذلك فقد ذكر ابن الزيات ان ابا جبل وقد كان جزارا في فاس كان اذا صلى الصبح اقام في المسجد الى ان يصلي الضحى ويتعالى النهار فيخرج الى دكانه في السوق وقد ذبح تلامذته الغنم واعدوها للبيع فيختطفها المبتاعون فيذهب ويغتسل ويتوضأ ويدخل المسجد ولا يزال متنقلا الى ان يصلي الظهر ثم لا يزال متنقلا الى ان يصلي العصر ثم يجلس الى حلقه الذكر والفقه الى ان يصلي المغرب ثم لا يزال متنقلا الى ان يصلي العشاء الاخره فينصرف الى اهله فيقوم الى ورده بالليل فاقام على ذلك أثني عشر عاما.(ابن الزيات، ص١٠٢) اما ما يخص المأكل والملبس فقد عرف عن الصوفية انهم قد زهدوا فيها وقاوموا شهوات البطن واكلوا بالقدر الذي يضمن لهم العيش فتذكر المصادر ان ابو محمد عبد السلام التونسي كان ياكل الشعير الذي يحرثه بيده فاذا اشتهى اللحم اصطاد السلاحف البريه فأكل لحمها .(ابن الزيات، ص١١٠)

كما يذكر ان الشيخ الصالح ابو يعزى كان لا يأكل كل شيء مما يأكله الناس فكان يأكل البلوط يطحنه ويعجن منه اقراص يقتات بها ومما يذكر عنه ايضا ان قوته نبات الارض ويأكل الخبيز وقلوب الدفلى .(الصومعي، ١٩٩٦، ص٦٨)

ومن اهم الادوار الاجتماعية التي اثر بها المتصوفه في المغرب العربي الاسلامي والتي جعلت الناس يلتجئون اليهم هي

اولا: دور الصوفية في التكافل الاجتماعي:

كان لمتصوفه المغرب ادوار كثيره في شتى المجالات الاجتماعية من خلال توفير الرعايه الاجتماعية للمساكين والفقراء فضلا عن اهتمامهم الكبير باليتامى فيذكر الصومعي ان الشيخ ابو يعزى اذا حرث يعطي تسعه اعشار للمساكين ويحبس العشر لنفسه ويقول اني استحي ان امسك تسعه اعشار واصرف العشر للمساكين فان هذا من سوء الادب مع الله عز وجل .(الصومعي، ١٩٩٦، ص٧٠)

ويذكر ابن الزيات في كتابه التشوف ان ابو حفص عمر ابن معاد الصنهاجي (ت ٥٦١ هـ) كان يجمع العسل ويصطاد الحوت من سواحل البحر حينما اتت المجاعه عام ٥٣٥ هجريه جمع خلقا كثيرا من المساكين فكان يقوم بمؤونتهم وينفق عليهم ما يصطاده من الحوت وغيره الى ان اخصب الناس. (ابن الزيات، ص١٨٣)

وفي روايه اخرى يذكر ان احد الصالحين كان يتفقد الصبيان في مكاتبهم فيسال عن الايتام واولاد الفقراء فيكسوهم بل انه يقوم بتجريد اولاده فيكسوها اولاد الفقراء .(ابن الزيات، ص٢٤١)

وقد قام ابو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الرحمن التادلي باخراج القمح والسمن وتفريقه على الفقراء بعد ان اصابت المجاعه مراكش وقد كان له غرفتين من القمح فتصدق بواحده ولما راى الحال قد اشتد بالناس الحق الغرفه الثانيه بالاولى ولم يبقى له شيء يدخره .(ابن الزيات، ص٢٤٦)

ثانيا: دور الصوفية في الايواء واطعام الطعام .

لقد اشتهر الاولياء والمتصوفه بتوفير المكان المناسب لعابري السبيل والوافدين والمقيمين على السواء ويذكر ان الولي ابو العباس احمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي وقد كان جميل الصوره فصيح اللسان حليما صبورا يحسن الى من يؤذيه ويحسن الى المساكين واليتامى والارامل وقد كان يؤوي طلبه العلم الغرباء الوافدين الى مراكش وينفق عليهم جميع ما يكون عنده مهما كثر عددهم .(ابن الزيات، ص٤٥٥)

وقد ذكر ان الشيخ ابا يعزى العابد الصالح الولي كان في بدايه امره يرعى المواشي وكان يصنع له كل واحد من ارباب المواشي التي يرعاها رغيفين كل يوم فكان ياكل واحدا ويعطي الرغيف الثاني الى رجلا منقطعا في المسجد لقراءه القرآن ثم انقطع في المسجد رجل اخر يقرا القرآن فآثره على نفسه بالرغيف الثاني وجعل يأكل من نبات الارض وقد ذكر ان الناس كانوا ياتون الى ابي يعزى من كل بلد فيطعمهم من عنده ويعلف دوابهم وان الفتوح كانت تاتيه من اخوانه في الله فينفقها على زائريه وان اهل القرى القريبه منه كانوا يضيفون الواصلين لزيارته ويتبركون بهم وقد قال ابو محمد عبد الخالق ابن ياسين الدغوغي: طلبنا التوفيق زمانا فاخطأناه فاذا هو اطعام الطعام .(ابن الزيات، ص٢٢٢-٢٢٣)

ثالثا: دورهم في انقاذ الناس من بطش الولاة.

كان للمتصوفه دور كبير في رفع الظلم عن الناس وذلك لمكانتهم المتميزه عند الولاة والسلاطين فنجد ابو شعيب ايوب ابن سعيد الصنهاجي والذي بدأ امره معلما للقرآن قد تشفع في جماعه من اهل بلده اراد الوالي قتلهم وقد كان ابو شعيب اسمر اللون فلما رآه الوالي انتهره فلما ولا عنه ابو شعيب اصابه وجع شديد فقيل له ان الرجل الذي

رددته هو من الاولياء ويخشى عليك من رده فامر ان يؤتى به فشفع في اولئك الذين امر بقتلهم فارتفع عنه الوجع وكان كلما امر بقتل جماعه ورآه مقبلا اليه عفا عنهم . (ابن الزيات، ص١٨٨)

ومن الشواهد على مشاركه الصالحين في تصديهم للظلم انه جاء رجل الى رباح بن يزيد يشكو اليه سعيد بن لبيد كبير رجال يزيد بن حاتم أمير افريقيا في ذلك الوقت وقال الشاكي لرباح ان سعيد بن لبيد اخذ منه جاريته فاخذ رباح عصاه وانطلق مع الرجل الى بيت سعيد وقد كان الناس يقفون ببابه فواجه سعيد بكل شجاعه وامره ان يعيد الجاريه فاطاعه وردها .(ابو العرب، ص٤٥)

ومن الشواهد الاخرى على تصدي الصوفية الى الظلم من الحكام والولاة هو ما قام به حفص بن عمر الجزيري من جزيره شريك من مواجهه ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب حينما اثقل على الناس من فرض الضرائب ما ضجوا منه حيث قدم معه جماعة عباد وصلحاء جزيرة شريك فطلب من ابي العباس ان يخفف عنهم ويسقط عنهم ما ثقل عليهم من الضرائب فامتنع ابو العباس عن اسقاطها فدعى عليه حفص ومن معه من العباد ويبدو ان الله تعالى استجاب لهم فلم يلبث ابو العباس سوى خمسة ايام فخرجت له قرحه تحت اذنه فمات منها بعد يومين .(البيلي، ١٩٩٣، ص٦٢)

رابعا: دور الصوفية في نشر القيم الاجتماعية والسلوكيه .

١ - حسن الخلق

لقد اهتم الصوفية اهتماما كبيرا بالاخلاق وحسن التعامل مع الناس في جميع شؤون حياتهم كالبيع والشراء والقضاء والتعامل مع الجار وكانوا يحثون مريديهم على هذا الامر فقد كان الشيخ ابو عمران موسى بن ابراهيم رحمه الله لا يغتاب احدا ولا يحقر احدا ولا يسيء الظن بأحد وقد جعل القران والسنه دليله الى كل خلق حسن حافظا لجميع جوارحه ان جهل عليه حلم ولا يظلم وان ظلم عفا، ولا يبغي ان بغي عليه، متواضع في نفسه اذا قيل الحق قبله من صغير او كبير يطلب الرفعه من الله عز وجل لا من المخلوقين، يخاف من لسانه اشد ما يخاف من عدوه، يحبس لسانه كحبسه لعدوه حتى يامن شره وسوء عاقبته فهذه كانت اخلاقه رحمه الله، كان له جار جفا عليه وشتمه وقال له في بعض كلامه له: ما هو الا يهودي فاعرض عنه الشيخ ابو عمران ولم يزد عليه جوابا بل حلم عنه تخلقا وتأسيا بمن سلف من الصالحين فلما كان بعد ايام اخذ ولد الشاتم في تهمه اتهمه بها وجعله الحاكم في السجن فجاء الشاتم للشيخ ابي عمران مستغيثا ومستشفعا في ولده فمشى الشيخ للحاكم وكلمه في ولد ذلك الرجل واطلقه. (التميمي، ٢٠٠٢، ص١٧٨-١٧٩)

٢ - التواضع

التواضع هو السلوك الفعال في كسب قلوب الناس واسر عقولهم لذلك نجد اكثر الناس تواضعا هم الانبياء وقد بين الله سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم وكافه المسلمين ان التواضع هو السر في اماله القلوب وان الغلظه والشده هي سبب النفور والبعد قال تعالى((فبما رحمه من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفض من حولك)).(ال عمران ١٥٩)

فان التواضع هو ذلك السلوك الذي يعطي القدره على التعبير عن النفس وتعرف من خلاله الحقائق بشكل بسيط وسهل يضفي على صاحبه هاله من الوقار ويعطي طباعا ايجابيا .

اما الكبر فهو الترفع والتعالي واعتقاد الشخص انه فوق الناس وهو مرض ينال البعض ويكرس البعد والنفور والكره والحسد فلا يمكن لاحد يرضى ان يتعالى عليه احد لذلك حرمه الله تعالى حيث قال((ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور)) .(لقمان، ١٨)

وقد قال احد الصوفية في التواضع انه الافتخار بالقله والاعتناق للذله وتحمل اثقال الملة.

فكان الصوفية خير مثال للتواضع وعدم الكبر في تعاملهم مع الناس في شتى ميادين الحياه فنرى ابو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي الاصولي امام اهل المغرب في علم الاعتقاد انه كان يحمل خبزه الى الفرن فيريد تلامذته ان يكفوه حمله فيابى من ذلك الا ان قال لهم: ما انتصبت للتعليم الا لوجه الله تعالى فاذا لقيني منكم احد فلا يتعرض لخدمتي بشيء فاني اخاف ان تفسد علي نيتي وكان يمر بالابواب فيجد النساء قد اخرجنا الخبزه لمن يحمله الى الفرن فيحمله لهن .(ابن الزيات، ص٢٠١)

فضلا عن ذلك فقد قام الشيخ الصالح ابو يعزى بخدمه صديقه وزوجته عاما كاملا دون ان تعلم زوجه صديقه بأمره فكان يطحن ويعجن ويخبز ويسقي الماء بالليل ويتفرغ للعباده نهارا وقد كان من تواضعه انه يقبل رؤوس زائريه في بيته .(ابن الزيات، ص٢١٩)

٣ - الامانه

تعتبر الامانه صفه مشتركه بين الصوفيون حيث كانوا يتصفون بها ويحثون الناس عليها وخير ما يصور لنا هذا الجانب هو التميمي في كتابه المستفاد حيث قال عن ابو القاسم عبد الرحمن الملاح انه جلس معه يوما في موضع قعوده للبيع اذ ارسل فيه بعض التجار من جيرانه فقام اليه ثم عاد ومعه جمله دراهم فقال لي هذا الرجل جاري اذا حضرته زكاة ماله دفعها إلي ويقول لي: فرطها على مستحقيها . وكنت قبل ذلك الوقت دخلت معه الى منزله فرايت

ابنته دراعه خلقه فقلت له: اشتر لابنتك من تلك الدراهم دراعه .فقال لي: لا افعل فانه لم يقل لي قط خذها لنفسك ان احتجت ولي معه اعوام يدفع لي في كل عام زكاته افرقها ولم يقل لي خذ منها فأنا لا ارى ان اخذ منها لنفسي درهما واحدا ثم اخرج دفترا فيه اسماء رجال ونساء ممن يعرف من اهل الحاجه فجعل يبعث فيهم فكل من وصل يدفع اليه من ذلك ما قدر له حتى نفذت تلك الدراهم كلها .(التميمي، ٢٠٠٢، ج٢، ص٦٦)

ومن الشواهد الاخرى التي يذكرها التميمي ان ابي الحجاج الفرار كان قد نزل الى الميضأة لقضاء حاجته فوجد فيها مربطا فيه خمسمائة دينار فجلس ينظر رجوع صاحبها حتى اقبل الليل ثم انصرف ثم عاد الى الموضع بالغد فاذا بصاحبه قد اتى ملهوفا فسأله عن حاله فقال له نسيت هنا خمسمائة دينار .فقال الفرار ما تعطي اذا ردها الله عليك فقال: كذا وكذا دينار لعدد سماه فقال له الفرار: انما اريد انا منك ان تمضي في طريق وانا في طريق ثان ودفع اليه ماله وانصرف .(التميمي، ٢٠٠٢، ج٢، ص١٤٤)

٤ – التربية الروحية

حرص المتصوفه واهتموا اهتماما شديدا بالتربيه الروحية والعنايه بتطهير القلب وتزكيه النفس وجعلها من مهامهم الرئيسيه ووظائفهم الاساسيه، وان التربيه الروحية عند الصوفية هي التخليه قبل التحليه وهم يعنون بذلك تخليه الباطن من الرذائل وتحليته بالفضائل، والمقصود بالتربيه الروحية هو العمل على تزكيه النفس وتطهير القلب واصلاحه من كل ما قد يصيبه من الامراض والعلل لان صلاح المرء وفساده مرده الى صلاح قلبه وتقويم نفسه،

هذا وان المتصوف الصادقين المخلصين قد وقفوا حياتهم على اصلاح الباطن وتطهيره من كل ما قد يشكو به من مختلف العلل والامراض لانه مصدر الاعمال الظاهره ومبعثها. (العقبي، ٢٠٠٢، ص٦٣-٦٤)

الخاتمة

من خلال دراستي هذه توصلت الى عدد من الاستنتاجات وهي

١ – كان للتصوف دور اساسي في صوره الحياه الاجتماعية في المغرب العربي الاسلامي.

٢ – مثل التصوف احد ابرز مراحل التطور الفكري في المغرب العربي الاسلامي.

٣ – ان التصوف في المغرب العربي الاسلامي مرحله متقدمه مثلتها مدارس عديده بالاضافه الى الشخصيات التي تعتبر روح هذه المدارس وكينونتها.

٤ – لم يكن للتصوف بشكل عام حدود جغرافيه فقد مثل حاله فكريه واجتماعيه كانت ابرز سمات العصور الوسطى وتاريخها في المغرب العربي الاسلامي ومشرقه.

٥ – مثل رجالات التصوف وعامتهم ركنا اساسيا من اركان الحركه الفكريه الذي مد الحضاره الاسلامية بمؤلفات عديده عززت المكتبه الاسلامية بالكثير منها.

٦ – كانت مؤسسات التصوف ابرز رافد من روافد الحالة الاجتماعية حيث مثلت الملتقى لكثير من طبقات المجتمع المختلفه

المصادر والمراجع

المصادر:

١ – البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز، (ت ٤٧٨ هـ/١٠٩٤ م)، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبه المثنى، (بغداد، بلا، ت)

٢ – التميمي، ابي عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي، (ت ٦٠٣ هـ)، المستفاد في مناقب العباد بمدينه فاس وما يليها من البلاد، تحق: محمد الشريف، منشورات كليه الاداب والعلوم الانسانيه، (تطوان، ٢٠٠٢)، ط١

٣ – ابن الحاج النميري، ابراهيم بن عبد الله بن محمد(ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٤م)، فيض العباب وافاضه قداح الاداب في الحركه السعيديه الى قسنطينه والزاب، اعداد، محمد بن شقرون، (الرباط، بلا، ت)

٤ – الحضيكي، محمد بن احمد، (ت ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م)، طبقات الحضيكي، تحق: احمد بومزكو، (بلا، م، ١٤٢٧هـ)

٥ – ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (٧٣٢، ٨٠٨هـ)، المقدمه، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب، ط١، (دمشق، ٢٠٠٤)

٦ – زروق، ابو العباس احمد(ت ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، قواعد التصوف، تحقيق: ادريس عزوزي، مطبعه فضاله المحمديه، (المغرب، ١٩٩٨م)

٧ – ابن الزيات، ابي يعقوب يوسف بن ى التادلي، (ت ٦١٧هـ/،٢٢٠م)، التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي، تحقيق: احمد توفيق، منشورات كليه الاداب، (الرباط، ١٩٩٧)، ط٢

٨ – ابن عجيبه، احمد بن محمد(ت ١٢٢٤هـ)، معراج التشوف الى حقائق التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي، (المغرب، بلا، ت)

٩ – ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم المغربي، (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، طبقات علماء افريقيا وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، بلا، ت)

١٠ - القشيري، ابو القاسم هوزان بن عبد الكريم، (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)، الرساله القشيريه في علم التصوف، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلميه، (بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)

١١ - ابن قنفذ، ابي العباس احمد الخطيب القسنطيني، (ت ٨١٠ هـ)، انس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي وادولف فور، منشورات المعهد العالي للبحث العلمي، (الرباط، ١٩٦٥)

١٢ - الكاشاني، عبد الرزاق، (ت ٧٣٠ هـ تقريبا)، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، مطبعه دار المنار(القاهره، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ط١

١٣ - الكلابادي، ابو بكر محمد بن اسحاق البخاري، (ت ٣٨٠هـ/ ٩٨٩م)، التعرف لمذهب اهل التصوف، تحقيق: ارثر جون اربري، مطبعه بيت الوراق(العراق، ٢٠١٠م)

المرا جع

١ - بالعربي، خالد، الدوله الزيانيه في عهد السلطان يغمراسن دراسه تاريخيه وحضاريه، مطبعه الريان، ط١(تلمسان، ٢٠٠٥م)

٢ - بوتشيش، ابراهيم القادري، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، دار الطليعه، ط١(بيروت، ١٩٩٣)

٣ - بودارد، عبيد، ظاهره التصوف في المغرب الاوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، دار الغرب للنشر، (وهران، ٢٠٠٣)

٤ - البوطي، محمد سعيد رمضان، السلفيه مرحله زمنيه مباركه لا مذهب اسلامي، دار الفكر، (دمشق، ١٩٩٨)

٥ - بونابي، الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين(٦، ٧هـ/١٢، ١٣ م)نشاته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكر والسياسي، دار الهدى للطباعه، (الجزائر، ٢٠٠٤)

٦ - البيطار، عبد الرزاق، حليه البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبوعات مجمع اللغه العربيه، (دمشق، ١٩٦١)

٧ - البيلي، محمد بركات، الزهاد والمتصوفه في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضه العربيه، (القاهره، ١٩٩٣)

٨ - التجاني، ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد، رحله التجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربيه للكتاب، (ليبيا تونس، ١٩٨١)

٩ - تركي، عبد الرحمن، نشاه الطرق الصوفية في الجزائر دراسه تاريخيه، المطبعه العربيه، (غار دايه، ٢٠٠٨)

١٠ - حساني، مختار، تاريخ الدوله الزيانيه الاحوال الاقتصاديه والثقافيه، منشورات الحضاره، (الجزائر، ٢٠٠٩)

١١ - الحفناوي، ابو القاسم محمد، الخلف برجال السلف، فونتانه الشرقيه، (الجزائر، ١٩٦٠)

١٢ - الريسوني، احمد، الاختيارات المغربيه في التدين والتذهب، دار الكلمه للنشر والتوزيع، (القاهره، ٢٠١٨)

١٣ - الزركلي، خير الدين محمود بن محمد بن علي الدمشقي، (ت١٣٩٦هـ)، الاعلام، دار العلم للملايين، (٢٠٠٢)

١٤ - الزين، سميح عاطف، الصوفية في نظر الاسلام، دار الكتاب اللبناني، ط٣(بيروت، ١٩٨٥)

١٥ - الساعاتي، الياس بن احمد حسين بن سليمان البرماوي، امتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الندوه العالميه، ط٣(بلا، م، ٢٠٠٠)

١٦ - ستودارد، لوثروب، حاضر العالمي، ترجمه: عجاج نويهض، دار الفكر للطباعه، مج، ١، ج٢، ط٤(بلا، م، ١٩٧٣)

١٧ - السملالي، العباس بن محمد بن محمد المراكشي، الاعلام بمن حل مراكش من الاعلام، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعه المكيه، ج١٠(الرباط، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣)،

١٨ - الصومعي، ابي العباس احمد بن ابي القاسم التادلي، المعزه في مناقب الشيخ ابي يعزى، تحقيق: علي الجاوي، مطبعه المعارف الجديده، (الرباط، ١٩٩٦)

١٩ - العبادي، الحسن، الصالحات المتبرك بهم في سوس، منشورات وزاره الاوقاف والشؤون الاسلامية، (المملكه المغربيه، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)

٢٠ - عبد الوهاب، حسن حسني، الشهيرات التونسيات بحث تاريخي ادبي في حياه النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الاسلامي الى الزمان الحاضر، المطبعه التونسيه، (١٣٥٣هـ)

٢١ - العقبي، صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاتها، دار البراق، (بيروت، ٢٠٠٢)

٢٢ - فيلالي، عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسه الوطنيه، ج٢(الجزائر، ٢٠٠٢)

٢٣ - كحاله، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي، (ت ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي، (بيروت، بلا، ت)

٢٤ - المختار السوسي، محمد بن علي بن احمد، (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩٦٣م)، المعسول، مطبعه النجاح، (المغرب، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م)

٢٥ - ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم، (ت ١٢٦٠هـ)، شجره النور الزكيه في طبقات المالكيه، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلميه، ط١(لبنان، ٢٠٠٢)

٢٦ - مفتاح، عبد الباقي، اضواء على الشيخ احمد التجاني واتباعه، الوليد للنشر، (الجزائر، بلا، ت)

٢٧ - الملالي، ابو عبد الله محمد بن عمر التلمساني، المواهب القدوسيه في المناقب السنوسيه، تحقيق: على بوربيق، دار كرداده للنشر، (الجزائر، ٢٠١١)

٢٨ - نويهض، عادل، معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسه نويهض الثقافيه، (بيروت، ١٤٠٠هـ)

Sources and References

Sources:

1 - Al-Bakri, Abu Abdullah bin Abdul Aziz, (d. 478 AH/1094 AD), Al-Maghrib in the mention of the countries of Africa and the Maghreb, which is part of the book Al-Masalik wa Al-Mamalik, Al-Muthanna Library, (Baghdad, no, no)

2 - Al-Tamimi, Abu Abdullah Muhammad bin Abdul Karim Al-Fasi, (d. 603 AH), Al-Mustafid in the virtues of the servants in the city of Fez and the countries that follow it, edited by: Muhammad Al-Sharif, Publications of the College of Arts and Humanities, (Tetouan, 2002), 1st ed.

3 - Ibn Al-Hajj Al-Numairi, Ibrahim bin Abdullah bin Muhammad (d. 774 AH/1374 AD), Fayd Al-Abab and Afada Qaddah Al-Adab in the Saidi movement to Constantine and Al-Zab, prepared by Muhammad bin Shaqroun, (Rabat, no, no)

4 - Al-Hadiqi, Muhammad bin Ahmad, (d. 1189 AH/1775 AD), Tabaqat Al-Hadiqi, Verified by: Ahmed Boumzko, (no date, 1427 AH)

5 - Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad, (732, 808 AH), Introduction, verified by: Abdullah Muhammad Al-Darwish, Dar Ya'rub, 1st ed., (Damascus, 2004)

6 - Zarrouk, Abu Al-Abbas Ahmad (d. 899 AH/1493 AD), The Rules of Sufism, verified by: Idris Azzouzi, Fadala Al-Muhammadiya Press, (Morocco, 1998 AD)

7 - Ibn Al-Zayyat, Abu Ya'qub Yusuf bin Al-Tadali, (d. 617 AH/220 AD), The Ascension to the Men of Sufism and the News of Abu Al-Abbas Al-Sabti, verified by: Ahmed Tawfiq, Publications of the Faculty of Arts, (Rabat, 1997), 2nd ed.

8 - Ibn Ajiba, Ahmed bin Muhammad (d. 1224 AH), The Ascension to the Truths of Sufism, verified by: Abdul Majeed Khayali, Cultural Heritage Center, (Morocco, no, T)

9 - Abu al-Arab, Muhammad ibn Ahmad ibn Tamim al-Maghribi, (d. 333 AH/944 CE), Classes of Scholars of Africa and the Book Classes of Scholars of Tunisia, Dar al-Kitab al-Lubnani, (Beirut, no, T)

-CE), al ١٠٧٢AH/ ٤٦٥Karim, (d. -Qasim Hawzan ibn Abd al-Qushayri, Abu al-al - ١٠ Kutub -Mansur, Dar al-Tasawuf, edited by: Khalil al-Qushayriyyah fi Ilm al-Risalah al (CE ٢٠٠١AH/ ١٤٢٢Ilmiyyah, (Beirut, -al

11 - Ibn Qunfudh, Abu al-Abbas Ahmad al-Khatib al-Qasentini, (d. 810 AH), Uns al-Faqir wa'z al-Haqir, edited by: Muhammad al-Fasi and Adolf Faur, Publications of the Higher Institute for Scientific Research, (Rabat, 1965)

12 - al-Kashani, Abd al-Razzaq, (d. 730 AH approximately), Dictionary of Sufi Terminology, edited by: Abd al-Aal Shaheen, Dar Al-Manar Press (Cairo, 1413 AH/1992 AD), 1st ed.

13 - Al-Kalabadi, Abu Bakr Muhammad bin Ishaq Al-Bukhari, (d. 380 AH/989 AD), Getting to Know the Sufi School, edited by: Arthur John Arberry, Bait Al-Warraq Press (Iraq, 2010 AD).

References;

1 - In Arabic, Khaled, The Ziyanid State in the Era of Sultan Yaghmorasan, A Historical and Civilizational Study, Al-Rayyan Press, 1st ed. (Tlemcen, 2005)

2 - Boutchich, Ibrahim Al-Qadri, Morocco and Andalusia in the Almoravid Era, Dar Al-Tali'ah, 1st ed. (Beirut, 1993)

3 - Boudard, Ubaid, The Phenomenon of Sufism in the Central Maghreb between the Seventh and Ninth Centuries AH, Dar Al-Gharb for Publishing, (Oran, 2003)

4 - Al-Bouti, Muhammad Saeed Ramadan, Salafism is a Blessed Period of Time, Not an Islamic Sect, Dar Al-Fikr, (Damascus, 1998)

5 - Bounabi, Al-Taher, Sufism in Algeria during the 6th and 7th Centuries AH/12th and 13th Centuries AD, Its Origins, Trends, Social, Cultural, Intellectual and Political Role, Dar Al-Huda for Printing, (Algeria, 2004)

6 - Al-Baytar, Abdul Razzaq, The Ornament of Mankind in the History of the Thirteenth Century, edited by: Muhammad Bahjat Al-Baytar, Publications of the Academy of the Arabic Language, (Damascus, 1961)

7 - Al-Bili, Muhammad Barakat, Ascetics and Sufis in the Maghreb and Andalusia until the Fifth Century AH, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, (Cairo, 1993)

8 - Al-Tijani, Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad bin Ahmad, The Journey of Al-Tijani, edited by: Hassan Hosni Abdul Wahab, Dar Al-Arabiya for Books, (Libya, Tunisia, 1981)
9 - Turki, Abdul Rahman, The Emergence of Sufi Orders in Algeria, a Historical Study, Al-Matbaa Al-Arabiya, (Ghar Daya, 2008)
10 - Hassani, Mukhtar, History of the Zayyanid State, Economic and Cultural Conditions, Al-Hadara Publications, (Algeria, 2009)
11 - Al-Hafnawi, Abu Al-Qasim Muhammad, Al-Khalaf
12 - Al-Raysuni, Ahmed, Moroccan Choices in Religion and Sectarianism, Dar Al-Kalima for Publishing and Distribution, (Cairo, 2018)
13 - Al-Zarkali, Khair Al-Din Mahmoud bin Muhammad bin Ali Al-Dimashqi, (d. 1396 AH), Al-Alam, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, (2002)
14 - Al-Zain, Samih Atef, Sufism in the View of Islam, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, 3rd ed. (Beirut, 1985)
15 - Al-Saati, Elias bin Ahmed Hussein bin Suleiman Al-Barmawi, Amtaa Al-Fadhla' bi Tarajim Al-Qurra' fi Ba'ad Al-Qarn Al-Hijri, Investigation: Muhammad Tamim Al-Zaabi, Dar Al-Nadwa Al-Alamiyya, 3rd ed. (no, m, 2000)
16 - Stoddard, Lothrop, The Present of the World, translated by: Ajaj Noueihed, Dar Al-Fikr for Printing, Vol. 1, Part 2, 4th ed. (no, m, 1973)
17 - Al-Samlali, Al-Abbas bin Muhammad bin Muhammad Al-Marrakushi, Al-Alam bi-man Hal Marrakesh min Al-Alam, edited by: Abdul-Wahhab bin Mansour, Al-Matbaa Al-Makkiyya, Vol. 10 (Rabat, 1403 AH, 1983),
18 - Al-Somai, Abi Al-Abbas Ahmad bin Abi Al-Qasim Al-Tadali, Al-Mu'izzah fi Manaqib Al-Sheikh Abi Ya'za, edited by: Ali Al-Jawi, Al-Maarif Al-Jadidah Press, (Rabat, 1996)
19 - Al-Abbadi, Al-Hassan, Al-Salihat Al-Mutabarak Bihum fi Sous, Publications of the Ministry of Endowments and Islamic Affairs, (Kingdom of Morocco, 1425 AH, 2004 AD)
20 - Abdul-Wahhab, Hassan Hosni, Al-Mashaheerat Al-Tunisiyat, a historical literary study of the lives of brilliant women in Tunisia from the Islamic conquest to the present time, Al-Matbaa Al-Tunisiya, (1353 AH)
21 - Al-Aqbi, Salah Mu'ayyad, Sufi Orders and Zawiyas in Algeria: Their History and Origins, Dar Al-Buraq, (Beirut, 2002)

22 - Filali, Abdul Aziz, Tlemcen in the Zianid Era, National Institution, Vol. 2 (Algeria, 2002)

23 - Kahala, Omar bin Reda bin Muhammad Raghib bin Abdul Ghani Al-Dimashqi, (d. 1408 AH), Dictionary of Authors, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, (Beirut, no, no)

24 - Al-Mukhtar Al-Soussi, Muhammad bin Ali bin Ahmad, (d. 1338 AH/1963 AD), Al-Ma'sool, Al-Najah Press, (Morocco, 1380 AH/1961 AD)

25 - Ibn Makhlouf, Muhammad bin Muhammad bin Omar bin Ali bin Salem, (d. 1260 AH), The Tree of the Fragrant Light in the Classes of the Malikis, edited by: Abdul Majeed Khayali, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st ed. (Lebanon, 2002)

26 - Miftah, Abdul-Baqi, Lights on Sheikh Ahmed Al-Tijani and his followers, Al-Waleed Publishing, (Algeria, no date)

27 - Al-Malali, Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Tilimsani, The Holy Talents in the Sanusi Virtues, edited by: Ali Bourbiq, Dar Kurdada Publishing, (Algeria, 2011)

28 - Noueihed, Adel, Dictionary of Algerian Notables from the Early Islamic Era to the Present Era, Noueihed Cultural Foundation, (Beirut, 1400 AH).